Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

المصطلح العربي– منظومته المفهومية، وخصوصياته الثقافية–

The Arabic term - its conceptual system, and its cultural peculiarities

د. عبد الوهاب حنك – د. عيسى لحيلح

جامعة محمد الصديق بن يحيي – الجزائر

المؤلف المرسل abdelwahabhank075@gmail.com
الارسال2020/07/08 تاريخ القبول 2020/07/28 النشر :06 نوفمبر 2020

E . ISSN : 506-2602X
ISSN : 2335 - 1969
صفحات البحث من :90 – 103

الملخص :

يحمل المصطلح حين قيامه في علم من العلوم سمات مفهومية، تجعله يتكون ضمن منظومة مفهومية لا يمكن فصل أحد أجزائها عن الآخر، ولذلك قامت العلوم اللغوية العربية تحوي أجهزة اصطلاحية متينة، ولقد جاء هذا المقال ليكشف عن خصوصيات قيام هذه المنظومات المفهومية، وكذا عن الخصوصيات الثقافية التي يحملها المصطلح العربي من بيئته، وأثرها على مفهومه، وترجمته.

كلمات مفتاحية

المصطلح، المنظومة المفهومية، الخصوصيات الثقافية.

Abstract

In English .

The term, while standing in a science, has conceptual features that make it form within a conceptual system, one of its parts cannot be separated from the other, and therefore the Arabic linguistic sciences contain solid conventional devices, and this article came to reveal the peculiarities of these conceptual systems, as well as cultural specificities Which the Arabic term carries from its environment, and its impact on its concept, and its translation

Key words : Term, conceptual system, cultural peculiarities.

مقدمة:

إن معرفة المصطلح تعدل معرفة العالم، لأن المصطلحات عالمية من حيث مفاهيمُها، وبطريقة أو بأخرى يجب أن يفهم الناس أو المثقفون بالأحرى كمرحلة أولى، يجب أن يفهموا مقام المصطلح ومقاله، وأنه والكلمة ليسا سواء، وأن المصطلح كفيل بصناعة الحضارة إذا ما توغل في ذهنيات المجتمع _ أي مجتمع _

لعل هذه الجملة الاعتراضية التي تدعو إلى تعميم وجود مقومات الحضارة في كل المجتمعات الإنسانية ستوقعنا أو ستوقع غيرنا في تساؤل مفاده: أن ليست كل المجتمعات تحمل في جذورها بذور قيامها، وهنا سيمنحنا المصطلح في حد ذاته إمكانية الإجابة على هذا التساؤل، وهو أنه _ المصطلح _ تسمية ومفهوما وتصورا لا يقوم إلاَّ في بيئة معرفية بأتم معنى الكلمة، حتى إذا أردنا التفصيل في ذلك وجدنا أن كلمة " بيئة معرفية " تشمل مختلف أنواع التهيؤ لصناعة العلم، ابتداء من النفسيات القابعة في الأفراد ذات التوجه الإيجابي في النظر للمعرفة، والتي تتكون ثقافيا باتصالها مع الماضي الثقافي للأمة، وبعدم استغناءها عن مَعين العلوم الآنية، إضافة إلى ذلك لا يقوم المصطلح إلا وسط مجتمع يعرف حركية علمية في شتى المجالات، على اعتبار أن المصطلح تسمية جديدة وتصور مستحدث.

من هنا، وعلى إثر هذا الثالوث الاصطلاحي، وجب استحضار المنظومة المفهومية التي يتشكل صمنها المصطلح في كل مقاربة اصطلاحية، والتي تتخذ من خلالها التسميات هرما اصطلاحيا يمكن من الانتقال من التسمية الأخص إلى التسمية الأعم، أو من التسمية التي تحمل في نفسها وظيفة واحدة، إلى التسمية التي تتشكل كل تلك المفاهيم لتكوينها، ومن هنا أيضا وجب معرفة الخصوصيات الثقافية التي يتسم بها كل مصطلح على تنوعها: بيئية، ودينية، وأيديولوجية، وتاريخية، وغيرها، ولهذا سنطر الإشكال التالي: ما هي خصوصيات المصطلح الثقافية؟ وكيف تتشكل؟، وما هي خصائص المنظومات المفهومية التي قامت وتقوم ضمنها المصطلحات في العربية؟

1/المصطلح ومنظومته المفهومية:

المتمعن في التراث اللغوي العربي يلحظ أن كثيرا من المصطلحات اللغوية العربية التراثية دارت حول مرجع صناعي، إنه النسيجُ أو الثَّوبُ، وإن هذه المصطلحات هي من مثل: الإشباع، والخبن، والنص وما إلى ذلك.

لقد كان الثوب أو النسيج أحد أهم المراجع التي استُمدَّت منها المصطلحات اللغوية في العربية، بقولنا هذا نكون قد نقضنا بطريقة غير مباشرة ما علق في أذهان الكثيرين من أن المصطلحات العروضية اقتصرت على ما هو مشكِّل للخيمة العربية، كبناء يحوي العرب من الحر والقر، حتى إذا أحصينا فإننا سنعثر على عدد غير قليل من المصطلحات التي تسير في هذا المسار من مثل: التذييل، الترفيل، التسبيغ، الخبن، الخرب، الروي، العقل، هذه كلها ارتبطت بمرجع صناعي اسمه النسيج، ولا يكون هذا من دون سبب، إنما هو شيء مقصود، أو لنقل فرضته الضرورة العلمية لعملية الاصطلاح، وهنا وجب أن نشير إلى أن الاصطلاح مراحل متعددة، ومن بينها أن المصطلح الذي يقوم في كثير من الأحيان على المجاز، ويختار إذ ذاك مادة معجمية تتناسب مع ما يسمو إليه المصطلح من تصور/ تصورات، وجب أن يتم هذا الإسقاط بكثير من الدقة والمتانة، ذلك أن الجذر المعجمي نفسه، متخم بكثير من المعاني المحسوسة أو المجردة على السواء، واختيار أحد هذه المعاني يبقى كفيلا بأن يعطي الصورة الواضحة للتسمية أو للاصطلاح، لا لشيء إلا لأن العقل الجماعي مشكَّل من خلال تركيبة واحدة، ومن خلال تكوين معرفي موحد، ما دامت الخلفيات الدينية، والثقافية، والبيئية واحدة، ولذلك فإن الفهوم ستسير على جمع دقائق وجزئيات ما يهدي بها إلى الوصول للمفهوم المقصود، هذا ما يسمى في المصطلحية بمرحلة التجريد، والتي فيها «يعمد العقل بقدرته التجريدية إلى اشتقاق الصورة الذهنية المتفردة في غير إسهاب تحليلي، فهذه المرتبة تتنزل إذن ضمن حركة التدرج الاختزالي، الذي هو ثمرة تآزر اللغة والعقل، والذي تعول فيه الظاهرة اللسانية على الطاقة الإيحائية، وعلى القدرة التضمينية بصورة يصبح معها الجزء المذكور دالا على نفسه وعلى الأجزاء التي تم اختزالها، ولذلك كثيرا ما يستقر من بين ألفاظ العبارة لفظ يحوصل مفاهيمها ليصبح هو المصطلح الدال بذاته على المجال الكلي، وقد يحل لفظ آخر محل العبارة فيعوض مداليلها جميعا»(1)

لنأخذ على سبيل المثال مجموعة مصطلحات تراثية عربية ونحاول إثبات هذا الأمر، وقبل ذلك وجب أن نشير إلى أن الكلمة المسطر تحتها أعلاه توضح بصورة قطعية ما المقصود بالمصطلح ههنا، إنه شيء تختص به وتتملكه مجموعة معينة، وغير معروض للعامة من الناس، والسبب في ذلك أنه يختزل كثيرا مما يمكن أن يجعله واضحا لهؤلاء من الناحية الدلالية، وعلى الرغم من أننا يمكن أن نعثر على عدد غير قليل من المصطلحات غير المبهمة بالنسبة لغير المثقفين، وخصوصا في مجالات العلوم الإنسانية، إلا أن ذلك لا يفسر بتاتا ضعف المصطلح، أو فشل توليده وصناعته، احتكاما إلى أنه ينبغي أن يسمو على الكلمة وما تعنيه، أو أنه ينبغي أن

يغيب على غير الخائضين في مجال حقله المعرفي، إن الأمر مفسَّرٌ بإمكانية ورود طبقة اجتماعية هي ما دون المثقفين والمختصين من ناحية، وترتقي من ناحية أخرى على الطبقة الاجتماعية التي ما لها غير اللهجة أداة للتواصل، ولتحقيق بعض من المعرفة اليومية التي تعد من قبيل العادات. والأمر أيضا مفسَّرٌ بطبيعة العلوم الإنسانية سهلة التلقي، وفي مجال الأدب مثلا نجد أن اللهجات والفصحى يشتركان في كم هائل من الكلمات/ المصطلحات العلمية، وفي العلوم الدينية أيضا، وفي الحديث بالخصوص، كثير من الكلمات التي توظف على أنها لغة عامية في لهجات متعددة نجدها تحضر بقوة في المتن الحديثي، أو حتى في الخطاب القرآني.

إن كلمة من مثل "بَقْبَاقٌ"، والتي توظف في اللهجة الجزائرية على أنها إحدى الدِّلاَء التي يستعان بها لحفظ الماء، نجدها راسخة في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: « أَنه قَالَ لأَبي ذَرٍّ مَا لِي أَراك لَقّاً بَقّاً؟ كَيْفَ بِكَ إِذا أَخْرَجُوكَ مِنَ الْمَدِينَة

الأَزهري: اللَّقُّ الْكَثِيرُ الْكَلَام، لَقْلاقٌ بَقْباق. وكَانَ فِي أَبي ذَرٍّ شِدَّةٌ عَلَى الأُمراء وإِغلاظ فِي الْقَوْلِ وكَانَ عُثْمَانُ يُبلغ عَنْهُ. يُقَالُ: رَجُلٌ لَقَّاق بَقّاق، وَيُرْوَى لَقَى، بِالتَّخْفِيفِ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي بَابِه. واللَّقْلَقُ: اللِّسَانُ»[2]

وقد قال به الخليل في العين قبل ذلك: « ووضع حبر في بني إسرائيل سبعين كتاباً من صنوف العلم فأوحى إلى نبي من أنبيائهم: أن قُلْ لفلان إنك قد ملأت الأرض بَقاقاً، وإن الله لا يقبل من بقاقكم شيئاً.

ويقال لكثير الكلام: بَقْباقٌ» [3]

وجاءت أيضا كلمة "السَّلى" الموجودة في اللهجات الجزائرية، والتي نوردها بمعناها المتخصص حين توظف لهجيا، أي الذي يدل على المشيمة/ الغلاف الجلدي الشفاف الذي يخرج من البقر حين تضع مولودها، لأنه يوظف أيضا للولد، وهذا ربما خاطئ، جاء في لسان العرب:« السَّلَى الجِلدُ الرقيقُ الَّذِي يَخرُجُ فِيهِ الوَلَد مِنْ بطْنِ أُمِّه مَلْفوفاً فِيهِ، وَقِيلَ: هُوَ فِي الْمَاشِيَةِ السَّلَى، وَفِي الناسِ المَشِيمة » [4]

لا يكفي أن نقول بهذا، وإنما وجب أن نوضح أمرا في غاية الأهمية، إن ثروة لغوية من مثل ما هو موجود في الخطاب الديني المشتمل على كل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كفيلة بأن تبلور رؤية مصطلحية عربية يُتخلص على إثرها من مشكلات المعجم الدخيل في مجالات العلم كافة، ويحضرنا هنا أن منهج صناعة الزمخشري لمعجمه أساس البلاغة قد كان ناجحا بامتياز، جمع من خلاله المفردات الأكثر فصاحة للغة من أربعة مصادر

محددة سلفا تمثلت في القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، وحكم ونوادر العرب إبان ذاك، استعمل الزمخشري كل هذا ليشكل معجم ما هو فصيح في العربية معتمدا على معياري الحقيقة والمجاز في المفردة، ولا يهفو بنا القول بتسمية المعجم أنه ينسحب من تخصصات المعجمية ليلج في أبواب البلاغة العربية، إنما المقصود في وسمه بالبلاغة ههنا هو الفصاحة لا أكثر ولا أقل.

نضرب مثالا آخر على ما استُحدث من مصطلحات وردت في المتن الحديثي، وجاءت تعبيرا على تسمية غربية في مجال الطب والتي هي: la seringue وما يقابلها في الأدبيات العربية هو مصطلح الحُقنة، إن هذا المصطلح قديم قدم العربية نفسها، وجاء عن طريق المجاز وقد عُبِّر به في الحديث النبوي حينما قال الرسول (ص): « لا يُصَلِّيَنَّ أحدكم وهو حاقن، وفي رواية وهو حقنٌ» والحَاقِنُ من حَقَنَ البَوْلَ يَحْقُنُهُ ويَحْقِنُهُ : حبسه حَقْناً، ومن هنا جاء مصطلح الحُقنة الذي يتشابه في مفهومه مع الدلالة المعجمية للجدر حقن، والتي هي دواء يُحقن به المريض المُحتقِن، واحتقن المريض بالحُقنة، ومنه الحديثُ: أنه كرِه الحُقنة.(5)

إن مرحلة التجريد التي قلنا بها سابقا، والتي كثيرا ما تُخرج المصطلح من غموضه، نجدها مجسدة بوضوح في كثير من مصطلحات الثقافة العربية المعاصرة، ونجد من أبرزها على الإطلاق مصطلح التأويل، الذي ابتُدأ التعبير عليه بمصطلح الـــــهرمينوطيقا hermeneutik، ولكن عبد الملك مرتاض اعترض على استعمال هذا المصطلح أيما اعتراض، ورأى فيه «أحد مظاهر الفجاجة على المستوى الصوتي، وأحد مظاهر التبعية على المستوى الفكري، ويؤكد أنه من المحال أن نقبل بهذه الترجمة الهجينة الثقيلة، مادام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت مصطلح التأويل، فلم يبق إذن إلا أن نستعمل التأويلية مقابلا للمصطلح الغربي القديم»(6)

ومن هنا نأتي إلى ذكر أن الأصل في ترجمة المصطلح إلى العربية هو التسمية الإغريقية له، وليست تلك اللاتينية على اعتبار ازدواجية المصطلح في لغة المصدر والذي من شأنه أن ينتج ازدواجية في التسمية العربية، إنَّ التسمية الإغريقية للتأويل هي (herméneia) والتي تُرجمت إلى اللاتينية بمصطلح (interprétatio) ثم إلى الفرنسية بـــــــــــــ (interprétation) وعلى هذا نقول أنه بعد الولوج السلس للمصطلح إلى الثقافة العربية كغيره من المصطلحات، والأخذ به من قبل المتخصصين وتفجيره على حد قول عبد السلام المسدي، بلغ نقطة فاصلة ينبغي أن يُحتكم فيها لأحد طرفين، وبما يكون أقل ضررا على العربية منهما، فكان التأويل بذلك التسمية الأوفى احتكاما لرغبة تقول بضرورة ربط حاضر اللغة بماضيها،

ولأنه أيضا كان الأنجع من الناحية العلمية لتوفر هذا التراث على كل من تصور ومفهوم التسمية، سواء من ناحية الخطاب الديني وعلومه، أو علوم الآلة الأخرى كالنحو، والصرف وغيرهما.

وإذا أردنا أن نكشف عن خصوصيات هذا الأمر فإننا سنجد أن أول من استعمل طريقة المجاز في نقل اللفظ مما يدل عليه في مرجعه الصناعي الأول إلى المفهوم الاصطلاحي المتخصص هو الخليل بن أحمد الفراهيدي حينما صنع مصطلحات علم العروض مما هو شائع في البيئة العربية، وتأسرنا ههنا مقولة رائقة لعبد السلام المسدي من كتابه قاموس اللسانيات حينما ذكر[7] أنه يقوم فصل واضح بين ما يسمى النظام المصطلحي والجهاز اللغوي، رغم تصاقبهما، إذ يرد الأول متولدا في مظان الثاني، فكل علم ينزع إذن على المدى البعيد إلى الاستقلال برصيده عما يتداخل مع القاموس المشترك، وهذا شأن العلوم منذ القديم.

إن المصطلح دال متخصص، وهو مدروس بطريقة علمية دقيقة، وقبل ذلك يحكمه أمران اثنان يمثلان بالغ الأهمية بالنسبة لكل علم من العلوم استمد مصطلحاته من بيئته الثقافية، أو حتى من خارجها، إنهما التصور والمفهوم، ولذلك استُوجِبَ قبل أن يُراعى المصطلح تسمية ودالا، يراعى كل من التصور والمفهوم سواء في معرفة خصوصيات المصطلح الحضارية الأصلية، أو تلك الدخيلة التي جلبها معه إن صحت عملية نقله، لأنه – المصطلح– حمَّالُ مفهوم، والمفهوم حمال تصور، والتصور حمَّال خصوصية بيئية وحضارية، لذلك «يقتحم المفهوم المستحدث المجال الذهني السائد في المجموعة الاجتماعية التي يحولها الرابط اللغوي إلى مجموعة ثقافية حضارية، وبقدر قرب ذلك المفهوم من المتصورات الرائجة في منعطفات قاموس تلك المجموعة يتيسر على اللغة استيعابه ضمن أحد حقولها الدلالية عبر ألفاظها»[8]

2/ مصطلح النسيج والمنظومة المعرفية:

حينما نعود لأخذ مصطلحات تؤكد نظرة ضرورة الأخذ بالمرجعيات الثقافية، والبيئية، وغيرها نجد كثيرا منها، ونجد إذ ذاك مفارقةَ تشكيل دائرة معرفية حول معنى، أو مفهوم، أو تسمية، أو تصور النسيج، والمفارقة تكمن في أن مصطلح النسيج في الأدبيات الغربية والعربية هو النص، وعلى الرغم من غياب أية إشارة في التراث اللغوي العربي إلى سير النص في التصور والمفهوم اللذين اختص بهما النسيج تراثيا أو حداثيا، وحينما نبحث عن ذلك عربيا سنجد أن النص معجميا قد ورد في كثير من المعاجم التراثية ولكن معناه لم يحمل أبدا أية علائق مع مصطلح النسيج، جاء في مقاييس اللغة لابن فارس« النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع

وارتفاع وانتهاء في الشيء... ونصصت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. وهو القياس، لأنك تبتغي بلوغ النهاية»(9) وهو أيضا – النص– عند ابن منظور « النص: رفْعُك الشَّيْءَ. نَصَّ الْحَدِيثَ يَنُصُّه نصاًّ: رفعَه. وكُلُّ ما أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ......وأصل النَّصّ أَقصى الشَّيْء وغايتُه» (10) وقد ورد اللفظ أيضا عند الزَّبيدي في تاج العروس، قال: «{نَصَّ الحَدِيثَ} يَنُصُّه {نَصّاً، وكَذَا} نَصَّ إِليْه، إذا رَفَعَهُ. قَالَ عَمْرُو بنُ دِينَارٍ: مَا رأَيْتُ رَجُلاً {أَنَصَّ لِلْحَدِيث من الزُّهْرِيِّ، أَي أَرْفَعَ لَهُ، وأَسْنَدَ وَهُوَ مَجَازٌ. وأَصْلُ النَّصِّ: رَفْعُك لِلشَّيْء. و} نَصَّ نَاقَتَهُ {يَنُصُّها} نَصاًّ: إذا اسْتَخْرَجَ أَقْصَى مَا عِنْدَهَا من السَّيْرِ، وَهُوَ كَذلكَ مِنَ الرَّفْعِ» (11) من هنا نشهد غياب دلالة النسيج فيما هو خاص بتعريفات النص لدى المعجميين القدامى، والسبب مجهول في ذلك على الرغم من أن فترة تأليف هذه المعاجم قد جاوز فترة تشكل العلوم الأخرى التي وردت فيها جملة من المصطلحات المرتبطة مفهوميا وتصوريا بالمصدر الصناعي الذي هو النسيج.

إن النسيج هو النص في الثقافة الغربية الحديثة، وهو كذلك في الأدبيات العربية التراثية على الرغم من عدم الإشارة إليه، والنص والنسيج ههناك هما الشعر، مدونة أولى، وديوان العرب أولا وأخيرا، والتسميات المرتبطة مفهوميا بمصادرها الصناعية التي ترد في فضاء المعنى الذي يختص به النسيج، أو حقله الدلالي لا تكاد تنضب، ولما كان الشعر نسيجا، والنسيج هي الكلمة المركز الذي قامت عليها الأمور، جاءت الأمور تباعا من ناحية التسميات.

فنحن عندما نتحدث عن جهاز كلامي عربي جاهلي أو ممتد إلى صدر الإسلام، وكلمته المركز هي النسيج، لا شك سنعلم بالعلائق الدلالية التي ستقيمها هذه الكلمة مع غيرها من الكلمات، ولأن الأمر في المصطلحية ينبغي أن يبدو أكثر متانة وانتظاما وإحكامية، وسينتقل النسيج من الكلمة المركز إلى تسمية المصطلح أو المفهوم المركز، وعلى إثر ذلك سيكون خاضعا لقانوني الجهاز الاصطلاحي والمنظومة المفهومية، إن هذين المصطلحين يفرضان أن تقوم التسميات ضمن علم محدد في إطار علاقات مفهومية بين بعضها البعض يؤدِّي أحدها إلى الآخر، بحسب منطق الترتيب المفروض داخل هذا العلم، من الأخص إلى الأعم، أو من الكل إلى الجزء.

وفي إطار هذا ينفرد كل علم بخصوصياته الاصطلاحية، وبمنظومته المفهومية حتى إذا سحبت أحد هذه المصطلحات اختل هرم التسميات الذي قام عليه هذا العلم، وحينما نقول بهذا لا ننفي البتة غياب مصطلحات علم داخل علم آخر، فقد أثبت التراث اللغوي العربي كثيرا من

التوارد في هذا الأمر، وبما أنا العلوم العربية قد قامت لتحقيق غاية واحدة تمثلت في خدمة القرآن الكريم، فكيف بها أن تحيد عن منهج التكامل بينها الذي فرضه القرآن، وكيف لمصطلحاتها ألاَّ تتداخل فيما بينها، وينتقل بعضها بين بعض.

ومن هنا نجد أن الجهاز الكلامي –إن أمكن القول– الذي كان لفظ النسيج يدور في فلكه قد انتقل مجازيا بصفة كلية أو أقرب من ذلك إلى مجال آخر، انتقل مما هو محسوس إلى ما هو مجرد، ونقل معه كثيرا من المصطلحات الأخرى التي في إمكانها أن تُقيم حوله جهازا اصطلاحيا، ومنظومة مفهومية، وعلى هذا سنعرض بعض المصطلحات التراثية التي ارتبط مفهومها بمرجعها الثقافي.

من أبرز المصطلحات التي نجد بينها وبين مصطلح النسيج ارتباطا وثيقا، "**المهلهل**" جاء في لسان العرب: «ثَوْبٌ هَلٌّ وهَلْهَلٌ وهَلْهَالٌ وهُلاهِل ومُهَلْهَل: رَقِيقٌ سَخِيفُ النَّسْجِ. وقَدْ هَلْهَل النَّسَّاج الثوبَ إِذا أَرقّ نَسْجه وخففَه. والهَلْهَلَةُ: سُخْفُ النسْجِ. وقَالَ ابْنُ الأَعرابي: هَلْهَلَه بالنَّسْجِ خَاصَّةً. وثَوْبٌ هَلْهَلٌ رديء النسْجِ، وَفِيهِ مِنَ اللُّغَات جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ فِي الرَّقِيق؛ قَالَ النَّابِغَةُ:
أَتاك بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذبٍ، ... ولَمْ يأْتِ بالْحَقِّ الَّذي هُوَ ناصِعُ» (12)

ومنه نفهم انتقال المصطلح للدلالة على مفهوم القصيدة (النسيج) غير المترابط مبنى ومعنى، قاصرة السبك والحبك، حتى قيل إن الشاعر مهلهل بن ربيعة سمي كذلك «لأنه كان يهلهل الشعر أي يرققه، وهو أيضا هلهلة شعره كهلهلة الثوب أي اضطرابه واختلافه» (13)

حينما نأخذ بهذا نجد أن رديء الشعر يُوصَم بالهلهلة، وعلى ذكر الحبك ههنا، نجد أنه أيضا من المصطلحات التي تحمل خلفية ثقافية متعلقة بالنسيج أيضا، وقد جاء السيوطي على ذكر ذلك حينما ذكر أن «مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده، وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكـــلام شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحـــذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكســـبه مـــن الحســـن والرونق» (14)

لنشرح هذا لا بد أن نشرع في تقديم مخطط تفصيلي يوضح ماهية ما يسمى الجهاز الاصطلاحي والمنظومة المفهومية، من خلال اختيار تسميات ذات علاقة بما يسمى المصطلح

المركز، والتي تأتي كل تلك التسميات الأخرى متضافرة لتصل إليه في قمة هذا الهرم الاصطلاحي، والحق أن صانعي هذا النظام من العلماء لم يقتصروا على علم واحد في ذلك، وإنما اختيرت المصطلحات لتكون جهازا مفهوميا واحدا في كل العلوم الأخرى، المقصودة منها، وعلوم الآلة كالنحو والصرف، والبلاغة، وامتد ذلك إلى فقه اللغة وهلم جرا. حتى أن مصطلحا "الجهاز الاصطلاحي والمنظومة المفهومية" لن تجد أي علم عربي تراثي يخلو منهما.

إن النسيج هو القصيدة، وهو محقق فيها حينما تكون في صورتها الكاملة ليس من حيث عددُ الأبيات فقط، ولكنه أيضا من ناحية البحر المخصص لها، وعدد تفعيلاته الكاملة من دون أي طارئ يطرأ على القصيدة لتحقيق مبنى، وإيصال معنى، أو لسبب بعد ذلك أو ضرورة.

3/ المصطلح والخصوصيات الثقافية:

ومنه فالنسيج هو الكلمة/ المصطلح المركز، لتأتي بعده المصطلحات الأخرى التي تدخل في حقله الدلالي/ المفهومي، سواء في منبته الأول (البيئة الحضارية/ المرجع الصناعي) أو في منبته الثاني (المفهوم المجرد المتعالق مع القصيدة) ومن ههنا سنجد أن المصطلحات الأخرى لها علائق دلالية/ مفهومية مع مصطلح النسيج/ القصيدة ليس في صورته/ها الكاملة بل إن هذه المصطلحات هي التي ستتسبب وظيفيا في إخراج النسيج من حالته الكاملة إلى حالة أخرى متوازنة مع ما طرأ على النسيج في مصدره الصناعي وتطلب على إثر ذلك استحداث كلمات ذات دلالة عُرفية للتعبير عن خصائص وسمات هذا التغير في المرجع الصناعي، وعلى إثر هذا نحسب ونفترض وجود دلالات أخرى أولية لما استعمل عُرفيا من الكلمات، ولنصطلح على هذا الأمر بمفاهيم المفاهيم، ولنقل مثلا لنكون أكثر وضوحا أن الجذر اللغوي (نسج) يمكن أن يكون قد حمل دلالة أولية قبل ما عُرف عليه فيما سمي النسيج.

حينما نعرج على لسان العرب لابن منظور، سنجد أن هذا لم يعد افتراضا وإنما حقيقة علمية ثابتة، إن الجذر اللغوي (نسج) حمَّال لدلالات قبلية وقد جاءت كالتالي: «النَّسْجُ: ضَمُّ الشَّيْءِ إِلى الشَّيْءِ، هَذَا هُوَ الأَصل. نَسَجه يَنْسِجُه نَسْجاً فانْتَسَجَ ونَسَجت الريحُ التراب تَنْسِجُه نَسْجاً: سَحَبَتْ بعضه إِلى بَعْضٍ. والريحُ تَنْسِج التُّرَابَ إِذا نَسَجت المَوْرَ والجَوْلَ عَلَى رُسومها. وَالرِّيحُ تَنْسِجُ الماءَ إِذا ضَرَبَتْ مَتْنَه فانْتَسَجَتْ لَهُ طرائقُ كالحُبُك. ونَسَجَت الريحُ الرَّبْعَ إِذا تَعاوَرَتْه رِيحانِ طُولًا وعَرْضاً، لأَن الناسِجَ يَعترِضُ النَّسِيجَةَ فيُلْحِمُ مَا أَطالَ مِنَ السَّدَى. ونَسَجَت الريحُ الماءَ: ضَرَبَتْه فانْتَسَجت فيه طَرائِقُ؛ قَالَ زُهَيْرٌ يَصِفُ وَادِيًا:

مُكَلَّلٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ، تَنْسِجُه ... رِيحٌ خَرِيقٌ، لِضاحِي مائِهِ حُبُكُ

ونَسَجت الريحُ الورَقَ والهَشيمَ: جَمَعَتْ بعضَه إِلى بَعْضٍ؛ قَالَ حُميد بْنُ ثَوْرٍ:

وعادَ خُبَّازٌ يُسَقِّيه النَّدى ... ذُراوَةً، تَنْسِجُه الهُوجُ الدُّرُجْ » (15)

على إثر هذا لا ينبغي فقط أن تراعى الدلالة المرتبطة بالنسيج والتي مفادها: «النَّسْجِ مَعْرُوفٌ، ونَسَجَ الحائكُ الثوبَ يَنْسِجُه ويَنْسُجُه نَسْجاً، من ذَلكَ لأَنه ضَمَّ السَّدى إِلى اللُّحْمة، وَهُوَ النَّسّاجُ، وحرِفَته النِّساجَة، وَرُبَّمَا سُمِّي الدَّرَّاعُ نَسَّاجاً» (16)

إنما تراعى كل الدلالات الأخرى التي جاءت قبلها، والتي تساعد في الضبط الدقيق لمفهوم المصطلح، ليس هذا المصطلح فقط، ولكن ليصير هذا قانونا اصطلاحيا عاما يُرجى منه حين توظيف الترجمة في مجال المصطلحية أن يوصل المفاهيم والتصورات العلمية بدقة إلى أذهان المتخصصين ذلك أن الترجمة جسر ثقافي بين الأمم والشعوب.

بالعودة إلى المصطلحات التي تشكل حقلا مفهوميا/ منظومة مفهومية مع مصطلح النسيج الذي هو القصيدة، نجد كثيرا منها، وهي على سبيل المثال لا الحصر: مصطلحا المهلهل والحبك وقد تم شرحهما سابقا، نضيف إليهما مصطلح الإشباع وهو مصطلح شائع الاستعمال في الثقافة العربية قديما وحديثا، وما يهمنا ههنا أن نثبت علاقته الدلالية/المفهومية بمصطلح النسيج لنثبت ماهية وظيفته ضمن هذا النظام، والإشباع من «أشبع الثوب وغيره رواه صبغا» (17) وقد جاء الإشباع أيضا مثل غيره من المصطلحات التي تدخل ضمن هذا الحقل المفهومي، جاء بدلالات سابقة لهذه، لكن الأصل في الإشباع العروضي كما يقول التنوخي مأخوذ من قولنا: «أشبعت الثوب إذا أحكمته وقويته» (18) .

حتى إذا علمنا أن الإشباع العروضي هو «حركة الحرف الذي يقع بين التأسيس والروي» (19)، وجدنا أن ابن جني قد فسَّر هذه العلاقة بين المعنى اللغوي وبين المفهوم الاصطلاحي، وقد جاء ذلك عند ابن منظور في لسان العرب: «قَالَ ابْنُ جِنّي: سُمّي بِذَلِك مِنْ قبِل أَنه لَيْسَ قَبْلَ الرَّوِيِّ حَرْفٌ مُسمًّى إلا سَاكنًا أَعني التأْسيس والرِدْفَ، فَلَمَّا جَاءَ الدَّخيلُ مُحرَكًا مُخَالفًا للتأْسيس والرِّدْف صَارَت الْحَرَكَةُ فيه كالإِشباع لَهُ، وَذَلِكَ لِزِيَادَةِ الْمُتَحَرِّك عَلَى السَّاكِنِ لاعْتِمَادِه بالحركة وتمكنه بها.» (20)

الملاحظ من هذا الانتقال، أنه جمع صنفين من المصطلحات، الصنف الأول المعبّر عن عيب وارد في الثوب من مثل المهلهل، وقد نُقل للتعبير عن خلل، أو عيب، أو نَقص في نظام النسيج (القصيدة)، والصنف الثاني جاء مما هو مستحسن في تصنيع الثوب العربي، وقد نُقل

للتعبير عما يزيِّن كلام العرب من المتقدمين والمتأخرين في قصائدهم، وهو من مثل الترصيع والتوشيح والتطريز.

فأما الترصيع فمن رصَّع، « ورَصَعَ الشيءَ: عقَدَه عَقْداً مُثَلَّثاً مُتداخلًا كعَقْد التَّميمَة ونَحْوِها. وإِذا أَخذت سيْرًا فعَقَدْتَ فيهِ عُقَداً مُثَلَّثة، فَذَلِكَ التَرْصيع، وَهُوَ عَقد التَّمِيمَةِ ومَا أَشبه ذَلِك؛ وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وجِئْنَ بأَوْلادِ النَّصارَى إِليْكُمُ ... حَبالى، وَفِي أَعْناقِهِنَّ المَراصِعُ

أَي الخُتُوم فِي أَعْناقِهِنَّ» (21)

فلما كان الترصيع في اللغة من البديع، وهو كل أمر يثير العين فيأسرها، ويستحسن في النفس، فلقد كان المرصَّع من القصيد ليس كغيره، مسجوعا تتلقفه الأسماع بخفة، وواقعا في النفس غير مفارقها، سهل الحفظ، بديع النغم، سلس على اللسان، لا يُملُّ من تَكراره، حتى أن شعر الخنساء من مثل هذا في رثاء صخر صار أمثلة تُضرب، وهي تقول: (22)

حَمَّالُ ألْوِيَةٍ هَبَّاطُ أَوديَةٍ شَهَّاد أنْدِيةٍ للجيش جَرَّارُ

فقلتُ لما رأيتُ الدّهرَ ليسَ لَهُ معاتبٌ وحدهُ يسدي ونَيَّارُ

يؤيد هذا الطرح مصطلح آخر، وهو مصطلح التطريز، وهو من طرز، ويدلنا لسان العرب على معناه: « الطِّرْزُ: البَزُّ وَالْهَيْئَةُ. والطِّرْز: بَيْتٌ إِلى الطُّول، فَارِسِيٌّ، وَقِيلَ: هُوَ الْبَيْتُ الصَّيفِيُّ. قَالَ الأَزهري: أُراه مُعَرَّبًا وأَصله تِرْزٌ. والطِّراز: مَا يُنْسَجُ مِنَ الثِّيَابِ لِلسُّلْطَانِ، فَارِسِيٌّ أَيضاً. والطِّرْزِ والطِّراز: الْجَيِّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. اللَّيْثُ: الطِّراز مَعْرُوفٌ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تُنْسَجُ فِيهِ الثِّيَابُ الجِيادُ» (23)

الملفت للانتباه هنا أن مصطلح التطريز يخرج من الحقل المعرفي للعروض، وهو تسمية خاصة بالبلاغيين، وتصور مخصوص بهم، لذلك فهو ينحو في اتجاه ما يستحسن من الشعر، وفق ما طُرح سابقا، سواء من صدر النسيج أو من عجزه، ومادام التطريز لغة يسمو ليعبر عما هو فاخر من الثياب، محصور في فئة السلطان، لا ترومه العامة من الناس أو تبتغيه، فكذلك الأمر في المفهوم الاصطلاحي، لأن الملكة الشعرية غير معروضة للعامة من الناس أولا، بل هي متخفية مستعصية حتى على الشعراء في أحايين كثيرة، وقلة منهم من لا تخذله هذه الملكة في الوصول إلى تحقيق هذا المفهوم، فيبدعون إذ ذاك شعرا تشابهت مرابط ما بين كلماته بما هو حاصل في ثياب الملوك والسلاطين المبهرجة بما طرزت به.

أما مصطلح التوشيح فمأخوذ من الوِشَاح، جاء في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أن «(الوشاح) خيطان من لُؤْلُؤ وجوهر منظومان يُخَالف بَينهمَا مَعْطُوف أَحدهمَا على الآخر ونسيج عريض يرصع بالجوهر وتشده الْمَرْأَة بَين عاتقها وكشحيها» [24]، حتى إذا عدنا إلى المفهوم الاصطلاحي الوظيفي لهذه التسمية وجدنا أنه مستند إلى المعنى الجمالي الذي اختصت به الكلمة وهي في المعجم، فجاء إذ ذاك التوشيح على أنه «نمط من الشعر نشأ في «الأندلس» وذاع فيها، حافظ على العروض العربي إجمالا، وخرج إلى أعاريض جديدة أحيانا، ولكنه، في كلتا الحالتين، نهج في التأليف نهجا جديدا قائما على المبالغة في الرقة والموسيقى والتزويق والسهولة، في هيكل من القصيد يختلف عن هيكل القصيدة العربية التقليدي. وقد استعيرت الكلمة من «الوشاح».»[25] فيلتقي إثر ذلك المعنى اللغوي بالمفهوم الاصطلاحي في أن المرأة تلبس الوشاح لتتزين به، ويقول الناظم شعرا على ذلك النهج والأسلوب ليزين به قصيدته، ويرتبط بعدها كل منهما بمصطلح النسيج أحدهما من مصدره الصناعي، إذ الوشاح نتاج النسيج، والموشح من القصيد نتاج النسيج أيضا (القصيدة).

خاتمة:

ختام هذا البحث هو جملة النتائج التي تم التوصل إليها على إثر الخوض في المصطلح العربي، ومنظومته المعرفية، وخصوصياته الثقافية، وسنعرضها هنا تباعا:

1/ لا يقوم مصطلح لغوي عربي ضمن علمه، خارج منظومته المفهومية، ويحتل إذ ذاك موقعا وظيفيا معينا يربط بين ما قبله من مصطلح وما بعده ليشكل بذلك الهرم الاصطلاحي اللازم.

2/ لم يقم هناك علم لغوي عربي تراثي من دون منظومة مفهومية وجهاز اصطلاحي، ولنا في النحو العربي خير مثال على ذلك حينما وصف عبد الرحمان الحاج صالح نشوءه بالقياسي، وأن منظومته المفهومية حتما لم تتعد ذلك.

3/ تشترك المنظومات المفهومية للعلوم اللغوية العربية في مصطلحات مفتاحية عديدة، منها التأويل، والأصل، والفرع، وغير ذلك، وهذا أبدا لم يكن مشكلة مصطلحية آنذاك بالنظر للتحكم الكبير في اللغة من قبل علماء العربية.

4/ لم يخل مصطلح لغوي عربي تراثي من خصوصيات ثقافية وبيئية، ولعل عدم الانتباه لهذا الأمر حديثا هو ما كون تلك المشكلات الترجمية العديدة خصوصا في مجال اللسانيات.

Summary :

The Arabic term - its conceptual system, and its cultural peculiarities

The knowledge of the term equals the knowledge of the world, because the terms are universal in terms of their concepts, and one way or another people or intellectuals must rather understand as a first stage, they must understand the position and article of the term, and that the word is not the same, and that the term is enough to make civilization if it penetrates into the minds of society _ Any society_

Perhaps this objectionable sentence, which calls for generalizing the existence of the elements of civilization in all human societies, will sign us or others, in the question: that not all societies bear the seeds of their resurrection, and here the term in itself will give us the possibility to answer this question, which is that _ the term _ A name, concept, and perception that is based only in a cognitive environment in the fullest sense of the word, even if we want to detail in that we found that the word "cognitive environment" includes various types of preparation for the manufacture of science, starting with the psychology in individuals with a positive approach to looking at knowledge, which is culturally connected with it With the cultural past of the nation, and by not dispensing with one another in the immediate sciences, in addition to that the term is based only in a society that defines scientific movement in various fields, given that the term is a new name and a new concept.

From here, and in the wake of this idiomatic trinity, the conceptual system in which the term is formed in every idiomatic approach, through which the nomenclature takes a conventional hierarchy, can be transferred from the particular naming to the broader naming, or from the naming that holds one function in itself, to The name that all these concepts are formed to form, hence the cultural specificities of each term must be known in its diversity: environmental, religious, ideological, historical, etc., and for this we will frame the following form: What are the specifics of the cultural term? How are they formed? And what are the characteristics of the conceptual systems in which the terminology was created and implied in Arabic?

The basic elements: The term and its conceptual system, the term textile and its conceptual system, the term and cultural peculiarities.

1/ An Arabic linguistic term does not exist within his science, outside his conceptual system, and then occupies a certain functional position linking what preceded the term and what follows it to form the necessary terminological pyramid.
2 / There was no traditional Arabic linguistic science without a conceptual system and idiomatic device, and we have in Arabic grammar the best example of this when Abdul Rahman Al-Hajj described his emergence as a standard, and that his conceptual system certainly did not exceed that.
3 / Conceptual systems of Arabic linguistic sciences share many key terms, including interpretation, origin, branch, and so on, and this was never a terminological problem at the time given the great control of the language by Arabic scholars.
4 / The term Arab linguistic heritage was not without cultural and environmental peculiarities. Perhaps the lack of attention to this issue recently is what formed many of these translation problems, especially in the field of linguistics.

الإحالات والهوامش:

1/ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، د ط، ، ص 51.

2/ ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ج 10، ص 332.

3/ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج 5، ص 3.

4/ ابن منظور– مرجع سابق، ج 14، ص 396.

5/ نفسه، ج س13، ص 123.

6/ عبد الملك مرتاض، التأويلية بين المقدس والمدنس، مجلة عالم الفكر، مج 29، العدد 1، 2000 م، ص 263.

7/ عبد السلام المسدي– مرجع سابق، ص8.

8/ المرجع نفسه، ص 49–50.

9/ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دون طبعة، 1979م، ج5، ص357.

10/ ابن منظور– مرجع سابق، ج 7، ص 98.

11/ مرتضى الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ط، د ت، ج 18، مادة نصص، ص 178.

12/ ابن منظور– مرجع سابق، ج 11، ص 750.

13/ ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، د ط، د ت، ص 7.

14/ السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1974، ج 3، ص 207.

15/ ابن منظور– مرجع سابق، ج 2، ص376.

16/ نفسه، ص 376.

17/ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د ط، د ت، ج 1، ص 977.

18/ التنوخي القاضي أبو يعلي عبد الباقي بن أبي الحصين عبد الله بن المحسن، القوافي، تحقيق عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1978، ج1، ص 11.

19/ ابن منظور– مرجع سابق، ج 8، ص 172.

20/ نفسه، ص نفسها.

21/ نفسه، ج 8، ص 124.

22/ الخنساء، ديوان الخنساء، د ن، د ط، د ت، ص 35.

23/ ابن منظور، ج 5، ص 368.

24/ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط– مرجع سابق، ج 2، ص 1033.

25/ شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ج 2، ص223.